المبحث الثالث:

القدرة الإبداعية.

إن تلك الومضات المتصَورة المشار إليها، لابد وأن تولَد الشرارة الأولى، الدالة على كمون القدرة الابداعية في المبدعين، والتي تنبئ ببدء عملية الابداع والخلق، هذه الحالة الاستثنائية قد تترافق لاحقاً مع عمليات مكملة لها بالإبداع والتطوير والتصحيح والابتكار، أو أن تتمخض عن ولادة خلاقة مبدعة، لمنتج يستند اليها و قد تكون سبباً موحياً لإبداع جديد بمكوناته ووظيفته المجتمعية أو سواها.

البند الأول: الإبداع و العدمية !؟

وفي هذا المجال لابد من التأكيد على أن المبدع أو الإبداع لا ينطلق غالباً من "العدمية" فالعوامل الحاضنة للإبداع قد يتلمسها المبدع هنا أو هناك، وهكذا فعوامل التحفيز قد تكون في مدى نظر مالك القدرات الابداعية الكامنة، أوفي المجال الحسي للمبدع الذي يتعامل معها، بما يمتلك من قدرات تخرجها من واقعها غير المحسوس والذي قد يبدو مجهولاً ليخرج الى العالم الملموس، وهذا لا يعني أن هذه العملية تقتصر على الكشف أو الإظهار، بل على العكس من ذلك، فإنها تتعدى هذه الآلية الميكانيكية إلى أبعد من ذلك.

وهنا أرى بأن عمليات حقيقية عدة قد تسبقها في الذات الإنسانية المبدعة، هذه العمليات التي يجيب عليها المبدع ذاته بعد وصوله إلى أهدافه، وإلى بما يتمخض عنه من نتائج لم تكن بحسبان الإنسان العادي وغير العادي .

إنني حينما أقول تسبقها عمليات، فإنني أحاول أن أتجاوز حدودي وأتطاول على أسوار المطلق الذي يتراءى لي، وقد لا أبلغه، لأنني أتصور بأن حالة "الولادة الإبداعية"

obeikandl.com

(التي تسبق العملية الخلاقة) هي تتمثل في تلك العملية الذهنية والعقلية التي تشارك فيها تفاعلات وتحالفات سيكولوجية وفيزيائية عميقة، تتعامل مع جميع العناصر المؤثرة والمتأثرة بالهدف، في مثل هذه الحالات ويجعلها تسهم بالكشف والمعالجة، وفق ما تعنية عملية الخلق والابتكار من تجسيد لمستلزماتها المادية والذهنية، وما يتبع ذلك من تعامل معقد مع عناصر المنتج المنوي ابداعه، من حيث خلقه و تقليصه أو من حيث تطويره أو الإضافة إليه، ليصبح منتجاً يتعامل معه المختصون وغير المختصون من الخاصة والعامة، وتحضرني هنا وجهة نظر أؤمن بها وأجد بأن وجهة النظر هذه تحتاج إلى برهانها، حيث تتمثل في أن: [الغموض الذي قد يراه المبدع بناءً قد يكون حافزاً أو عاملاً محفزاً في الإبداع و ولادته] .

وبغية التوضيح أسوق بعض الأمثلة، وإن كانت بعيدة بعض الشيء عن الإبداع الإداري وسواه، إلا أنه يمكن القياس على هذه الامثلة التي يأتي في مقدمتها (اكتشاف الجاذبية) وقد أشار إليها الدكتور حسنية وعدد من العلماء، تلك الظاهرة التي تعرف اليوم بقانون "نيوتن للجاذبية".

هذه الظاهرة في حقيقتها هي ظاهرة موجودة في جوف وأحشاء وسطح اليابسة، وفي كينونة الكواكب المثيلة، غير أنها لم تكن معلومة من قبل، حتى جاء (نيوتن) ليبرهنها ويضعها في السياق العلمي المطلوب، وفي خدمة إبداعات أخرى لمبدعين آخرين.

البند الثاني: أسس عملية الإبداع.

إن عملية الإبداع ترتكز بشكل أساسي على أساسين رئيسيين يتقاسمانها، فيؤثرا فيها وتؤثر فيهما، هذان الأساسان المتمثلان في :

الأول: (الظاهرة نفسها والمبدع)

والثاني: (الواقع بما فيه والمبدع)

وعندما نقول هذا نقصد بذلك، بأن الواقع (الذي يحتوي الظاهر والباطن ويتشكل من الأرض والسماء وما بينهما)، منه تُستقى الحاجات وعليه تُقام مستلزمات

الإنسان والحياة، والذي يكيف ويطور ما على هذا الواقع من مكونات يفاد منها هو "الإنسان وغيره" من كائنات تُسخرْ وتعمل في خدمته.

أما بالنسبة للمبدع:

فهو الإنسان الذي يمتلك الواقع نفسه ويتعامل معه ولا يمل من ذلك، لذلك تجده يعمل باستمرار على سبره وتحليله وتكييفه وتطويره واستغلاله، وهو الذي يبتدع ويمتلك وسائل العلم والمعرفة ويبتدع الأدوات اللازمة لمستلزمات تطوير هذا الواقع.

من هنا ينقلنا التفكير والتمعن بعمق لنتساءل لماذا خُص الإنسان بخصائص لم نجدها بكائن آخر حتى الآن ؟ حين نجده يحوز تلك القدرات والطاقات الاستثنائية مثل { الموهبة والذكاء والبديهة والقدرة على التخيل والتفكير وإدراك الحاجات وتلبيتها وهو الذي يبدع من خلال عقل يمتلك طاقات لا حدود لها}.

خصائص الخلق الإبداعية:

(إن خصائص التكوين الخلقي البنيوي للإنسان والتي اتسم بها عن سواه، وجاءت جزءاً أساسياً من تكوينه وقدراته التي تشكل أحجية، كلما حلّ بعضها تولد بعداً جديداً منها، لذلك فإن التكوين البنيوي والطبيعي الخلاق الذي خلق الإنسان على إساسه، منحه أعضاء تم توصيفها بصفة النبل وبخاصة (المخ – الدماغ - العقل) إنها تشكل بمجملها منبع ومولد ومحرك قدراته التي قد لا تنضب، هذه العضوية الثلاثية النبيلة مكمن قدرات لا حدود لها فيما لو قيض لها أنسانٌ مبدعٌ، وللبيان سوف نلقي الضوء على كل من هذه الأعضاء باختصار لمعرفة الدور الذي يقوم به كل منها في عملية الإبداع وذلك من خلال الآتي:

أولاً – الدماغ.

وهو العضو النبيل الذي يوكل إليه جمع المعلومات والمعطيات ويقوم بتحليلها، وهذا العضو هو الأقدر على تزويد العقل على ما أعتقد بأحدث المعلومات، ويتوضع الدماغ في الجمجمة من رأس الإنسان.

ثانياً - المخ.

oberkanal.com

من المعروف بأن المخ والمخيخ والبصلة السيسائية، أعضاء نبيلة تمثل وتشكل أجزاء هامة من مكونات العضو النبيل (المخ) الذي يوكل إليه بوظائف غاية في الأهمية يأتي في مقدمتها قدرات { الإدراك والشعور الحسي والعقلي، والمخ يقوم بتحليل المفردات والتراكيب اللغوية بما ينسجم والأحكام العقلية).

ثالثاً - العقل.

هو منبع النبالة ومعطيها للأعضاء الآخرين، هذا العضو النبيل هو عضو قائم بذاته، وهو الذي يعبر عن الإدراك الواعي للشخصية الإنسانية لأمر ما، وهو الذي يعكس التفكير والتذكر الدقيق، الذي يبين سوية الذكاء الذي يعكس نتائج إبداعية، وهنا يتجلى أمامنا نتيجة هامة جدا تتمثل في أن العقل هو الذي يميز الإنسان عن الحيوان، وأرى بأن الدماغ والمخ عضوان نشيطان يعملان لدى العقل وفق طاقاته الإبداعية المبذولة ذاتيا.

رابعاً – الإرادة والعقل.

يتحدث الكثيرون (كالعالم الألماني شوبنهاور و العالم ويندر بينفيلد) عن العقل وعن المخ والدماغ، كما يتحدث البعض الآخر عن الإرادة والعقل، رغم أنني لا أريد التفصيل بذلك لأن مجاله آخر، إلا أنني أرى بأن الإرادة تلزم جميع القدرات المميزة التي يختص بها الإنسان، لأن هذه الأعضاء النبيلة التي نعرفها من خلال أسماء سميت بها، وأصبحنا على معرفة في بعض ما يتصل بها، رغم أننا لم نشاهدها ولكننا نسلم بتأثيرها فينا في كل حركة وكل سكنة، ورغم إننا نمتلك مئات الأسئلة التي تدور حولها من هي؟ كيف تعمل؟ من سماها ؟ متى تعمل ومتى لا تعمل؟ لماذا تتوقف عند البعض ولماذا لا تتوقف عند البعض الآخر...الخ.

لذلك أرى بأن المدير والمُدبر لكل ما تقدم من عقل ومخ ودماغ وإرادة، هو "الإنسان" فهو الذي يقود هذا الفريق الإبداعي في المسار الذي يريد.

إن هذه الإضاءة وجدتها ضرورية لتوضيح الأفكار السابقة التي طرحت والتي ستطرح.

obeikandl.com

وهنا نكرر تساؤلنا هل ينطلق الإبداع من العدمية ؟، فمعتقدي إن أردنا الإجابة عن هذا التساؤل، فإني أرى بأن الإبداع لا ينطلق من العدمية،(ومعتقدي هذا أبنيه على معطى علم النفس الذي أتصوره، بأن العدم لا يمكن أن يعطي غير العدمية، بينما الانبعاث يعطي النتاج الإيجابي، وعلى هذا الأساس يمكننا فهم العديد من الإبداعات والابتكارات الكبيرة التي وصل إليها الإنسان في مجالات عدة، وهذا ما سوف نوضحه فيما يلي:

كيف نفهم القوانين (الطبيعية وغير الطبيعية)؟

كيف نفهم الجاذبية؟

وفي ضوء ذلك وعلى هذا الأساس فإننا لا نستطيع أن نقول بأن(نيوتن) هو الذي خلق وأبدع (قانون الجاذبية) كون الجاذبية ظاهرة موجودة قبل قانون نيوتن وبعده، غير إننا لا نستطيع بالوقت نفسه إلا أن نعترف بالقدرات النادرة والإبداعية لهذا العالم المبدع الكبير (نيوتن)، الذي استطاع بعقله الخلاق أن يكتشفها ويبرهنها ويظهرها لتصبح فيما بعد (قانون الجاذبية)،القانون الطبيعي المسلم به ، كما أننا لابد وأن ندرك بأن الشريكين في هذه العملية لا يستويان من حيث القيمة المعنوية والتاريخية والعلمية، إذ لا يمكننا أن نضع المكتشف (بكسر الشين) في سوية المكتشف (بفتح الشين) فالذي اكتشف هو{ نيوتن } وليس العكس، وبهذا فهو المبدع.

لكن الذي منحه هذه السمة هو عقله الوقُاد المبدع والمتحرك كحركة المكتشف (بفتح الشين)،هذا التكامل في الانجاز يجعلنا في حال لا نستطيع من خلالها الإهمال والهدر و التبذير و الاستغناء عن أي عامل من عوامل الكشف والإبداع.

من المعروف بأن هذا الاكتشاف شكل حدثاً علمياً عظيماً في حياة البشرية، وبخاصة في مسارات المبدعين منهم وفي مجالات عدة (كالطيران والاتصالات وغزو الفضاء، وعلم النجوم والكواكب...الخ) وهذا البيان الماثل أمامنا فيما يلي ينطبق أيضا، على:

[قانون النسبية - وقانون ارخميدس - ونظريات فيثاغورث في الرياضيات والهندسة - وجابر بن حيان في الجبر - وعباس بن فرناس في الطيران - وابن سينا في الطب - وابن النفيس -وإبداعات اديسون - واحمد زويل وغيرهم]، ولا أجدني بحاجة إلى البرهان من جديد إلى ما أرمي إليه في هذا المجال.

إن المبدعين والإبداع في التاريخ البشري "متوالية خلْقٍ"، متسلسلة ومتكاملة ومتطورة وفق التطورات والمتغيرات الحياتية، التي يمكن إحصاءها ولكن بصعوبة، بحيث تصل هذه الصعوبة إلى حال الاستحالة، وبذلك فان بحثنا هذا قد ينوء بحملها إذا ما أردنا ذلك.

لكن حال "الإبداع والمبدعين" تبقى حالاتهم النادرة الخاصة بهم، بل من الحالات الاستثنائية في المفهوم النخبوي الطليعي، وسط أي مجتمع من المجموع البشري، غير أننا في هذه الحال قد نلجأ إلى الخروج عن القاعدة المتصلة بالاستثناء والقياس عليه والذي يستلزم إعمال، "القاعدة القانونية القائلة إن الاستثناء لا يقاس عليه".

ولكننا هنا أمام عملية خلق تواكب استمرار الحياة وتطورها، مما يدعونا لتجاوز هذه القاعدة القانونية بالقياس لنقيس، وفق ما يمليه العقل على عملية الإبداع وعلى المجتمع والفرد، وأن نؤمن بأننا نستطيع أيضا الإحصاء، مدركين بأن الاستحالة تلوذ هاربة أمام جبروت إرادة الإبداع، محكمين القانون الذي نعرفه جميعا ،ألا وهو "قانون النسبية".

كيف نفهم ابن فرناس؟

إن فكرة أن يطير الإنسان التي راودت "عباس بن فرناس" فكرة خلاقة، لدى هذا المبدع العربي غير أنها قد كانت آنذاك ضرباً من الخيال والجنون لدى العامة وبعض الخاصة من معاصريه، لكن هذه الفكرة التي شهدت النور فيما بعد وبني على أساسها إبداعات جاءت نتيجة إبداع مبدعين بنوا، لابد وأنهم بنوا على بنيان ما قبلهم (فكرياً وإنتاجياً).

لذلك نرى بان ولادة الطيران الأولى تحققت في رحم أفكار "عباس ابن فرناس الخلاقة" التي تجسدت في خياله وفكره ونبوغه المبكر، والتي قد تبلورت نتيجة ثقافة ذاتية سبقت عصرها في ذهنية "هذا العالم " تلك الذهنية التي حازت قدرات برزت وفعلت في مجال الطيران .

وحين نفكر موضوعياً ونحاول الغوص في شخصية "عباس" والبيئة والثقافة المحيطة به والتي نهل منها، يمكننا أن نقدر أكثر ما تمخضت عنه تجربته، وإن لم تصل إلى خواتمها لأنه بالتأكيد أمعن النظر في الواقع الذي يعيشه، وتعمق في مكوناته من فضاءات ومخلوقات زاحفة وسائرة وطائرة، وبما راوده من طموحات وأمنيات أراد تحقيقها.

هذه المعطيات التي أملاها الواقع، والتي شكلت زاداً ثرياً لمبدعنا العربي هذا، حينما تزود بها وهو يفكر ويتخيل و يدرس ويحلل الواقع بما فيه من ظواهر طبيعية وحيوية قائمة، هذه الحيوية العقلية المدركة والقادرة على التأثير والتأثر، لابد لها من تشكل كل هذه المعطيات لها الحافز اللازم لها في ذلك، دون أن نسقط من حساباتنا ما للتراث الإنساني من تأثير وبلورة لحافز كهذا في انطلاقة وإبداع هذا المبدع،"كبساط الريح" الذي ورد ذكره في الكتب السماوية والطيور الطائرة، وأعتقد بأن محاولة (ابن فرناس) جاءت باحثة عن أجوبة علمية تقنع صاحبها وملكاته العقلية، حول الجسوم الطائرة، التي لم يخص بها الإنسان ككائن حي عاقل على سطح البسيطة، جاءت محاولته وهو واثق و مؤمن بأنه لابد وأن يتحقق حلمه وإن فشل .

إن هذا التفكير لابد أنه يتسم بالعمق والنبوغ، وإلا لما كان الإقدام والتضحية، حينما أراد التشبه بالطيور واقتفاء أثرها والتشبه بمسار بساط الريح، وإعداد مستلزمات طيرانه التي مع الأسف فشلت، وهذا بدهي رغم أنها في المسار الصحيح.

محفزات القدرات الابداعية:

من هنا نستنتج بعض العوامل التي تحفز المبدعين للإبداع، بل التي تحرك القدرات العقلية في الإنسان وتفعلها نحو تحليل الظواهر أو سبر أغوارها بما يؤدي الى حلول يرتضيها، ومن العوامل المؤدية للإبداع التالية:

العامل الاول: {الرغبة في تغيير الواقع}.

- نستنتج مما تقدم بأن للواقع دور يكبر ويصغر وفق (ملكات الإنسان العقلية وقدراته الذاتية والموضوعية التي يملكها، ووفق النبوغ والابتكار الذي يولده مجتمعه الذي يحيا بين ظهرانيه، ووفق الحاجات اللازمة والاستجابة الإبداعية للمبدعين في خلق المنتج الإبداعي الذي ينشده المبدع والمجتمع) ، ومما لاشك فيه بأن الواقع يحتضن في كثير من الأحيان حيزاً من المنتج الإبداعي المطلوب، وكأنه يريد أن يسهم في سد حاجة أو تسهيل السبيل إلى ابتكار لإشباع حاجة، هذه الحال التي تتكامل عواملها و شروطها بين المبدعين والوقع نفسه، ولذلك فإنني أرى بأن الواقع يشكل رحما استكمالياً غنياً، يسخره العقل البشري في عملية الإبداع وفي سواها.

وبهذا نستطيع أن (نعتبر الواقع مطرحا ولّادا للإبداع، كما نستطيع أن نطلق عليه تسمية "رحم من أرحام الإبداع"، التي قد نأتي على ذكرها لاحقاً، لأن العقل البشري – كما أشرنا - هو الذي ينمي رشيم الابداعات ويكسبها مضمونها وشكلها ودورها، بل ويحدد مآلها في "السلب والايجاب" وبالتالي فإن العقل البشري كونه يعتبر مركز نبوغ متجدد، يشكل حالة جاذبة وليست نابذة، إذا ما استلزم الإبداع ذلك، وبهذا فهو يحوز الحسنات، لأنه "تكوين مطلق" لكل ما يخطر ببال من خلق وإبداع و ابتكار لكل حالة و ظاهرة جذب و نبذ نعيشها و نشاهدها، وبذلك فهو قدرة ولادة مطلقة تُدرُك وتعي وتُعطي وتقرر وتُقدمْ وتُحجمْ، لها بدايات وليس لها نهايات تُدرَكْ، فمخبرها يتسم بخصائص نادرة وُجدتْ ليتسم بها ذاته وليس سواه، لهذا فإن العقل البشري هو المكّونْ الذي (يكشف ويخلق ويقلب المستور بسرائه وضرائه بفوائده و مضاره) وهذه حقيقة مؤكدة.

كما أعتقد بأن العقل هو الذي {يدرك ويسبر ويحلل ويجذب و ينظم المكونات المقصودة ويحتويها وينسقها ويرتبها ويضيف إليها ويصنعها ويبعثها مبعثا خلاقا مفيدا هذه السمات وغيرها ، هي التي ننسبها إلى حاملها أو حائزها ألا وهو المبدع}.

لأن ومضة الشرارة الحافزة للمبدع والقادمة من تفاعل غير مرئي والذي يحقق الواصلة بين الطاقة الإبداعية للمبدع والواقع، ماهي إلا ضرورة لازمة للبدايات الأولى التي تشحذ القدرات الإبداعية للإنسان وتحفز طاقاته الذهنية، بعد المخاض الذي تمر به حالة الولادة الإبداعية، من خيال وتصور وفكر وإدراك وإمعان في مسيرة الخلق والابتكار والتغيير.

هذه الطاقات الكامنة التي يُفعّلها ويُوظفها المُبدع، في إحدى الظواهر التي تمثل مقصده، لاشك أنها تشكل أدواته ووسائله المستخدمة في (السبر – والتحليل - والتمحيص.. والاقرار....الخ) لاستيعاب كليات ظاهرته وجزئياتها وتأثيراته وتأثرها وقياس أضرارها وفوائدها، بعد أن تصبح منتجا متاحاً للخاصة والعامة سواء كانت فكرة تبزغ وتُثبتْ ابتكاراً يُنتجْ ويُجسدْ ليكون مفيداً أو قابلاً للاستخدام والتحول والتحويل بما يفيد المجال الذي وجدت لأجله هذه العملية التي نطلق عليها(حالة الابداع).

العامل الثاني: الحاجة.

إن نسبة عالية من كل ما يجول في خواطرنا من أفكار، وما نأتيه من أفعال و ردود أفعال، وكل ما ننجزه عند الإقدام والتضحية نحو الأمام وصوب أي حدب وصوب من مجالاتنا الحياتية، ماهي إلا استجابة لسد وتلبية حاجة ملحة أو لاستكمال حاجة، و خلق نتيجة تحسِن واقع وتغيير ظاهرة وتعدل نتيجة وتغير أخرى، أو تكشف خافية عن الحواس الحسية والبصرية فتظهرها، من خلال ذلك كله نجد العامل المشترك أو القاسم المشترك الأعظم هو((الحاجة)) هي المحفز وهي التي تجيب عن أسئلة دون أن تسأل.

لذلك يقولون إن (الحاجة أم الاختراع) أي أنها أم "الإبداع"، هذا الإبداع الذي لا يقتصر على مجال معين من مجالات الحياة، ولا يحدد بزمان ومكان معينين، لذلك فإن الحاجة تشكل سبباً خلّاقاً وهاماً وحافزاً من حوافز الابتكار، بل هي قد تكون جزءا أساسياً من مكونات الرحم الثري (الواقع) الذي يغني التصور والخيال والتفكير الإبداعي والتحليلي للمبدعين قبل أن ترى إبداعاتهم النور، تحفز الحاجة المبدع وتحرك فيه عوامل سيكولوجية وفيزيولوجية، بل وحسية هامة مثل: (اللمس والسمع والنظر والشم والذوق والسعادة والألم) مما يوفر له المادة أو الظاهرة الغنية من المفردات التي يحتاجها المبدع في خلق إبداعه... وقد يكون الفقر والغنى والظلم والجهل والعلم الخ... بالإضافة إلى كل ما هنالك من عوامل موجودة في الواقع متجانسة ومتناقضة، لها موقعها المؤثر في هذا السياق، وقد يكون بعضها مدمرا للآخر و مزيلا له. لهذا نرى بأن الحاجة هي السبب الأهم التالي للانطلاق نحو الإبداع.

في ضوء ما تقدم يمكننا الاستعانة ببرهان بسيط من الحياة، فنحن نعلم بأن الشتاء فصل يأتي في السنة مرة واحدة على الأغلب، ويحمل الثلوج والمياه للكائنات الحية وغير الحية، ولكن الفصول الأخرى لا تتسم بسمة عطاء الماء هذه، خاصة وأن ما فوق اليابسة وما في أحشائها يستنزف هذه المياه ، الأمر الذي يصيب الكافة بشح وحاجة للمياه من جميع الكائنات، هذه الحال التي تُلقي بظلالها على تفكير العقل البشري لإعماله في ضرورة معالجة هذه الظاهرة لسد الحاجات التي هو بصددها ، مما يضعه أمام مسألة أو ظاهرة تنتظر حلا، حيث تنبري العقول والأفكار لإيجاد حل جديد مفيد يقبله الخاصة والعامة ، وقد يأتي الحل من خلال إيجاد مكون أو حيز يتم ابتداعه لكي يحفظ الماء لمحتاجها عند الحاجة" البئر" ولا أجد نفسي بحاجة أكثر كي أسوق أمثلة لأدلل على ذلك.

- العامل الثالث: تراث المبدعين.

مهما حاولنا أن (نشيح و ننحى) بفكرنا ونظرنا عن الامس وعن كل ما فيه ، إلا أننا لا نستطيع أن نلغيه أو ان نلغي تأثيره فينا وفي كل من حولنا ، لأن التراث مكوّنُ من مكونات الماضي، ومن معطيات الحاضر (وبالتالي فهو أصبح يشكل ظاهرة تُصبِّحُنا وتُمَسينا سواء قبلنا أو أبينا ،رغم أنه ماض) ولكنه يجب ألا يلزمنا أو يقيدنا بحيث نصبح أسرى له ، ولذلك فهو من المحفزات والأسباب التي قد يستلزمها المستقبل، لذلك فإني أجد بأن عامل التراث ، يشكل مصدراً موضوعياً أخر لمبدعي الأجيال الحاضرة والقادمة والمتعاقبة، من المطورين والمصلحين والمبتكرين، الذين يجدون بالتراث تلك الومضات التي أشرنا إليها ، والتي يمكن أن تكون مصدراً من مصادر إذكاء التفكير و العقل والتي قد تؤدي إلى تأجيج إضاءة الابداع، أو أن تكون سببا ملهما في تلك الإبداعات، وحوافز حقيقية للمبدع نحو الإقدام باتجاه مقصده، ليحقق الخلق أو المنتج المطلوب، وقد يكون هذا المنتج ذي صلة بالمصدر(المُلهمْ) وقد لا يكون، غير أن هذا التراث، يشكل بمجمله مصدر إلهام، يشحذ العقل البشري ويفعِل قدراته باتجاه خلق أفكار وإبداعات جديدة، متصلة أو منفصلة عن أصلها و مصدر إلهامها ، غير أن ذلك لا يعفيها من أن تبقى، مدينة بشكل أو بآخر لأهمية هذا التراث بالولادة والخلق والاظهار.

-العامل الرابع: العامل السيكولوجي.

إن سيكولوجية الكائن الحي وخاصة العاقل، حالة "طبيعية واستثنائية بآن معا"، كما أنها ذات طبيعة مركبة ومتجددة، وبالتالي فهي ثرية، ولأنها كذلك فهي حالة معقدة ذات أغوار عميقة السبر والتحليل فيها والوصول الى نتائج من خلالها إبداع بحد ذاته.

إن التطور المستمر للكائن العاقل، يجعل الحالة السيكولوجية لديه غير مستقرة وثابته ، بل هي حالة طموحة ومتحولة بصورة دائمة وقد تكون إبداعية وولادة، هذا التطور الذي يستحق بل يستلزم "تشكيل خلايا البحث العلمية المتنوعة والمختصة "

من المبدعين والمفكرين للغوص في أعماق أعماق سيكولوجية الكائن الحي العاقل وحتى غير العاقل أيضاً، ولما لا؟ .

إن إبداعات العقل البشري وابتكارات وإبداعات مالكيه، مُلقى على عاتقهم مسائل لم تظهر بعد إلى حيز الوجود واللمس والنظر ولازالت في بوتقة التوقع والخيال والتفكير، وهذه النظرات لا تقتصر على الإنسان فحسب، بل تتعداه إلى مجتمعات أخرى نعرفها ونعيش جزءاً من سلوكياتها وغرائزها، وهي تتمثل في مجتمع "النحل والنمل" وحيوانات الغريزة الأخرى (كما تسمى)، ليُعملْ المفكرون والمبدعون عقولهم وعلمهم، من خلال الدراسة والسبر والتحليل العلمي والاستنتاج، الذي قد يجعل الحي يرى ويدرك ويعي مالم يخطر ببال.

- العامل الخامس: الثراء الفيزيائي للمبدع.

إن هذه الحالة بقدر ما هي ذاتية، فهي بالوقت نفسه موضوعية، حيث نصادف أفرادا يمتلكون ثروة ميتافيزيقية غنية متجددة متفاعلة مع عالمها الخارجي ومع كل ما يصادفها، مما يجعلها مؤهلة لتوفير المناخ الملائم لإبداعات قد تكون بالنسبة للآخرين ضربا من الخيال والاستحالة، بينما تشكل لأصحابها وطارحيها حقائق إبداعية (متصورة ومسكونة في عقول وذهنية هؤلاء)، الذين يؤمنون بثقة، بما يتراءى لهم أو بما يحللون وينتجون من أفكار ومنتجات تغدو بتحويلها هذا إلى إبداع وابتكار جديد، وهم عادة يمتلكون مقومات البرهان على ما ينتجون، وإلا لما اتسموا بالثقة والتصميم الإقدام والتنفيذ والتضحية، في سبيل هذه الرؤى والمنتجات، حتى تصبح حقائق ملموسة ومفيدة.

إن الإبداع والإلهام يشتركان في خصائص متعددة، وإن كان الثاني قد يكون خارجا عن إمكانات أو طاقات المبدع، إلا أنه يحفز المبدع نحو الخلق والابتكار فكراً وممارسة وإنتاجاً، وهذا ما ينطبق على الأنبياء والرسل ومعجزاتهم التي ووجهت بالرفض والاتهام، وبأنها خيالية غير حقيقية لدى البعض، بينما أصبحت

obeikandl.com

حقائق إنسانية ينتمي إليها الآخرون الذين أدركوها وأمنوا بها، رغم انتسابهم إلى مستويات فكرية واجتماعية متعددة ومكونات عقلية وسويات إدراك متباينة.

ومن المفيد الإشارة، إلى أن الإلهام لا يمكن أن يرى النور إلا في حضن ذهنية مبدعة لأن الإبداع حالة خاصة بل استثنائية، فمصادر الإلهام موجودة في مكامنها غير أن التأثر بها أو كشفها أو القدرة على تسخيرها أو تحويلها إلى أداة في مجال ما، غير ممكنة أو متاحة إلا للخاصة من المبدعين، كما أنه ليس متاحاً ((للكافة من هذه الشريحة نفسها))، بل هو يعكس تأثيراته على المختص الذي يدركه من خلال فعل أو ردة فعل ،أومن خلال مسببات الإبداع المتصلة به كمصدر إلهام.

العامل السادس: الذكاء

في هذا المجال يتحدث العلماء عن مسألة خلافية، تتناول قدرة (الذكاء والخيال) وتأثيرهما من جهة والواقع الذي ينصب عليه ذكاء وخيال من يمتلكهما من جهة أخرى هذه الثنائية التي تسهم في {الخلق والإبداع والابتكار}وأنا أرى أن تحالفا وتعاونا وتكاملا بينهما يتم تحقيقه بين (الخيال والذكاء).

مما لاشك فيه، إن العلاقات الجدلية بين هذه العوامل الثلاث، لها نتائجها في حقل التأثير والتأثر ،لأن ما جاء به الانبياء على سبيل المثال، يمثل قمة من قمم الإبداع والخلق والإعجاز، وكذلك الأمر بالنسبة للعلماء المُلهمين الذين شحذ الإلهام عقولهم وفعَّل قدراتها باتجاه خلق أفكار وإبداعات جديدة، قد تكون متصلة أو منفصلة عن سابقاتها، وقد تكون "ولادة بكراً" نتجت عن مخاض بين المبدع والحالة أو الظاهرة المعالجة من قبله، وهذه الأخيرة تكون ولادتها مختلفة عن ولادة الإبداع الذي يرى النور، ويبقى محافظا على اتصاله أو انفصاله ،عن أسباب هذه الولادة، لذلك فهي تبقى تدين بالانتماء لتلك الأسباب قبل الولادة أو الخلق والظهور.

والجدير بالذكر فإنني أرى بأن "الخلق البكر"، الذي لم يسبقه خلق أو إبداع، لابد وأن يصبح أساسا أو تراثاً ملهماً فيبنى عليه، أو ملهم فيقاس عليه، بل يمكن

أن يحقق ظاهرة تعكس حالات إيجابية أو سلبية تستحق المعالجة التي يفتقدها الواقع، حيث يتصدى لخلق وسيلة المعالجة والحل في هذه الحال أيضا المبدعون.

- **العامل السابع و الثامن: المتغيرات الكونية والتطورات العلمية.**

لقد أردت الدمج بين هذين العاملين، لأن ما تطرحه الطبيعة لا يوجد ولا يلقى تفسيره وقيمته أو تحويله و تكييفه إلا من خلال عاملين أساسيين هما (الإنسان وعلمه).

إن هذين العاملين يشكلان نتيجة إبداع العقل البشري وحصيلة مخاض الطبيعة وتفاعلاتها، وما تطرحه من مسائل قد تتحول إلى ظواهر، تغدو سبباً لإبداعات وابتكارات العقل التي ينعم بها الإنسان، وما الزلازل والهزات الأرضية والخسوف والكسوف وسواها إلا ظواهر، تُفَعلْ العقل البشري، الذي يُعملْ فيها عملَه حيث تُصب الطاقات الإبداعية الكامنة في المبدعين، لدراسة هذه الظواهر، كي تتعامل معها وفق الهدف المرسوم ، هذه الطاقات التي تحوّل الفكرة المستنتجة من هذه الظواهر، من مجرد فكرة سابحة إلى منتج ملموس وممارسة حية يجسدها المبدعون، كونها تذكي لديهم بذور الإبداع، والقدرات الجديدة، التي تضاف إلى ما يملكون، لتدخل مجتمعهم في الإطار الذي يتيح المناخ الأكثر ملاءمة، لولادة إبداع مفيد له وللإنسانية، أو منتج يكون وسيلة قادرة على مواجهة المتغيرات الكونية نفسها، والتي قد تكون سبباً في ولادته أو للحيلولة دون أن تستشري نتائجها الكارثية، إن حدثت؟ !!

لهذا أرى بأن التطور العلمي والتغيير الذي تحدثه الظواهر الطبيعية، يشحذ العقل البشري، ويضع أمامه مسائل جديدة تحتاج إلى حلول المبدعين، هذه المقاربة التي تحقق المزيد من إعمال للفكر المبدع الذي ينجز إبداعات ومنجزات مبتكرة وحديثة.

إن هذه الأمثلة حول الظواهر الطبيعية، تحمل أسئلة لا تنتهي، بل تبقى مطروحة على العقل البشري المبدع، في كل مجال من مجالات الحياة الاقتصادية والاجتماعية

والعلمية والثقافية والإدارية، وهذه الاخيرة هي التي تتولى إدارة الفعاليات التي ذكرنا، وهي التي تستلزم بالضرورة التحديث والابتكار والإبداع، خاصة وأن الحياة الاجتماعية للإنسان، تجعله يجهد باستمرار، لإشباع حاجاته المتجددة والتي كلما أشبع حاجة منها، تتوالد عنده حاجات جديدة، بسرعة المتواليات الحسابية، أو الهندسية.

obeikandl.com